نعطي ما أعطينا

يسر الحسناء ان تقدم الى صديقاتها كاتبة جديدة وتعرفهن بالانسة راحيل مسعود « المنضمة حديثاً الى لجنة تحرير هذه المجلة » ذات الادب الوافر والعلم الجزيل الرفيعة المقام عند الفضلاء في ماردين حيث تعلم في كلية البنات الاميركية . وهذه فاتحة مقالاتها تبرهن اصالة رأيها وحسن اسلوبها

قد سمعنا ونسمع كل يوم عما يجب على الابنة ان تفعله وعلى المرأة ان تقوم به وما هي واجباتهما نحو الهيئة الاجتماعية وما اكثر منتقدي المرأة في المجالس ومن فوق المنابر وعلى صفحات الكتب والمجلات والجرائد : — من قائل انها تحب الفخفخة والبهرجة وتميل الى التزيي بالازياء الغريبة والحديثة وغيره يقرعها بعصا التنديد قائلاً انها تهمل واجباتها العائلية ولا نراها الا في المنتديات العمومية والقيام بواجب الزيارات تلاحظ حركات غيرها وتقف على رأي الاخرين فيها وفي ملابسها والى غير ذلك من الصور التي يرسم بها الرجال وبعض النساء المرأة كما يرونها هم من الخارج . وعندي ان اكثر هذه الانتقادات التي تنتقد بها المرأة هي كلمات فارغة لا يتعدى تاثيرها اهتزاز خفيف في طبقات الهواء او تسويد شيء من القرطاس الابيض . ومجملة مختصرة — صرف وقت فيما لا معنى له ولا فائدة منه

يوجد فريق اخر من المعلمين وهؤلاء لا ينتقدون بل يفكرون في الاحوال ويدرسونها ومعظمهم يسأل هذا السؤال ما الذي جعل الابنة الغربية المهذبة الراقية مستقلة في عملها حرة في مبادئها لا يعيقها عائق عن الاقدام ولو كان اسداً رابضاً في الاجام ! بينما نرى الفتاة الشرقية دائماً متكلة على غيرها لا تتجاسر ان تتقدم بنفسها خطوة الى الامام بل تظن انه ينبغي ان يكون معها جيوش للمحاماة عنها؟ فالابنة الغربية تعيش كفرد بشري حر ذي ارادة وحكم في محيطها اما الشرقية فهي مقيدة مسلوبة الحرية الفردية تتبع مجرى الريح . ما سبب ذلك يا ترى وما العامل الذي يجزم بنصيب كل واحدة ؟

لا حاجة للقول بان اساس مستقبل كل فرد عاقل البيت والمدرسة واذا مشينا على قاعدة منطقية يجب ان نقول المدرسة فالبيت لان البيت الراقي حصل اولاً من وجود افراده الراقين في مدرسة راقية فكان الاولى بنا ان نقدم المدرسة على البيت في هذا الصدد . فالبيت عندنا لا عمل له في اعداد الافراد وبالاخص الفتيات للعمل في الهيئة الاجتماعية لان التسعة والتسعين في المئة من البيوت يسودها الجهل ويخيم عليها الحمق والغباوة لذلك يجب ان لا ننتظر فتاة راقية من بين جدران بيوتنا . اذاً وجب علينا ان لا ننتظر رقياً من التسعة والتسعين في المئة من مجموع الجنس اللطيف عندنا . بقي علينا ان نقتصر في

البحث على المدرسة فقط

واذا اتينا الى المدرسة رأينا الجانب الاعظم من هذا الانظام بسيطاً جداً يقتصر على التعليم البسيط والتهذيب القليل فمن هنا ايضاً يجب ان لا ننتظر الا القليل الذي يفي ببعض الغرض

اما المدارس الراقية (وهي عندنا راقية وفي البلدان المتمدنة لا تعد الاّ اولية بسيطة) التي عليها معوّلنا في اصلاح المرأة وهي قليلة جداً جداً بالنسبة الى الحاجة لم تزل النواقص فيها كثيرة .. واهم نقص فيها هو ان درجة التعليم فيها واطئة الى درجة الحطر واليوم يعتقد عموم المصلحين في البلدان الراقية بان العلم القليل او بالاحرى التعليم غير التام خطر على الامة وذلك لان المتعلم او المتعلمة لا يحصل على مبدأ جلي مما تعلم ليسير بموجبه فينتج من ذلك تشويش عظيم وارتباك مدهش وهذا سبب المشكلات الاجتماعية التي تأتي امامنا اليوم وهي ناتجة عن قلة التعليم والتهذيب ولكن ما الحيلة ومعايشتنا واحوالنا لا تساعدنا بان نحصل على الاكثر فيجب ان نكتفي في الوقت الحاضر بما قسمه الله لنا من هذا القليل

والنقص الثاني وهو ان بعض المدارس تضع الاهمية في جانب واحد ويهمل الجانب الاخر تقريباً فتعلم مثلاً اللغات وقليل من تدبير المنزل ويهمل كثيراً من التهذيب العلمي العقلي فتخرج الفتاة دون مبدأ صريح تتبعه ولا عجب اذا اتبعت تيار الموضة والمجالسات وهلم جرا

والبعض الآخر من المدارس يضع الاهمية في التعليم في الدائرة العقلية فقط مهملاً اعداد الفتاة لادارة البيت وتعير ذلك من الواجبات المختصة بها فلا تعرف الابنة الا الحساب والجبر والهندسة والفلسفة والتاريخ وهلم جرا ويكون تهذيبها الآخر ناقصاً الى درجة لا توافق المطلوب فتسبب شكوى القوم من المدارس

فما كان الاجدر بمدارسنا ان تقرن بين وجهي التعليم اللذين اشرت اليهما وتضع اهمية متعادلة على كل منهما فلو فعلت ذلك لفات مشكلاتنا وخفت وطأة الشكوى من بنت المدرسة

النقص الثالث هو في المعلمات : ولا يخفى انه يوجد مسؤولية عظيمة على الآخذات على عواتقهن تربية من سيكن عماد المستقبل لا بل حياته وكثيرات هن اللواتي ياخذن هذه الوظيفة وهن غير مدركات ماهية خدمتهن وما وراءها من الفائدة العظيمة للمجتمع بل بحسبنها حرفة يتعاطينها ليتعيشن بواسطتها غير عالمات انهن يشتغلن في النفس مخلوقة على صورة الله تتقلد ما تراه بسرعة عجيبة

لا يخفى ان البنت تبلغ الشباب ما بين الثانية عشرة والسادسة عشرة من عمرها فتكون حينئذ حادة الشعور قوية الاحساس كثيرة التفكر بالامور العالية العميقة وقادرة بطريقة خاصة بها على ان تقابل بين الظواهر وتستنتج لنفسها النتائج من تلك المقابلات والموازنات. وفي هذا السن لما تصل قواها الجسدية الى كمالها ينتبه العقل فياخذ في البحث والاستقصاء ويمتلىء الصدر شوقاً الى اقتباس ما تحسبه النفس الانفع والاحسن » فالان تبتدىء الحياة الجديدة وتنفتح ابواب النفس لكل التأثيرات الخارجية

كانت نفس البنت قبل هذا الزمن مستترة وراء حجاب من اسرار الحياة وغوامضها فلما شقت هذا الحجاب وبرزت الى النور ابتدأت ان تسأل نفسها : من اين اتيت ؟ ولماذا وجدت ؟ والى اين ذاهبة ؟ والى غير ذلك من السؤالات التي تخطر ببالها وتجبرها على الاجابة

فهي الان مستعدة ومهيأة لزرع وليثق الجميع بان كل ما يزرعه الانسان في هذه الارض المخصبة اياه يحصد فالذي يزرع شوكاً يحصد شوكاً او قمحاً فقمحاً . حواسها الادبية منتبهة وضميرها حساس ونفسها تتوق الى كل ما يجملها فاضلة ثمينة تحاول التخلص من كل ما هو شائن وتافه واخذ كل ما من شانه تعزيز نفسها وجعلها ذات قيمة وفائدة لها وللاخرين . اما بعد هذا السن فهي ليست سهلة المأخذ ولا سريعة الانقياد . بل تظن نفسها كاملة وابنة المدرسة تفتخر بشهادتها العلمية المدرسية افتخاراً عظيماً يصعب عليها معه سماع الانذار والنصح ولو كان ذلك من افواه من كانت تحسبهن في ايام مضت مثالها الاسمى

فالحيلة اذاً في كسب الابنة واعدادها للاستفادة والافادة هي اقتناص الفرصة واغتنام وقت العمل لئلا يذهب جزافاً ! وذلك يتم متى تجهزت المدارس بالمعلمات المقتدرات العارفات واجباتهن . فيحسن ادارة مجرى حياة الصبايا . فلو حصلن على هكذا معلمات لما رأينا ابنة المدرسة الا متجهزة بكل حاجات مستقبلها المهم المتوقف عليه مستقبل غيرها ايضاً فعن هؤلاء المعلمات يجب ان يبحث الخطباء والكتاب وكل من يريد خير العموم وتقدم الامة

ان وظيفة المعلمة تنحصر اولاً في قيادة الابنة ومساعدتها في تسلق تلال الحياة الصغيرة الى ان تصل الى تلك القمة حيث تفتح عينيها وتنظر ثم تسأل . وعليها ان تجيب على سؤالات تلميذتها المنتبهة وتساعدها في التغلب على الصعوبات . هذه الامور الصغيرة — لكنها الحقائق الكبيرة — تجزم بمستقبل بناتنا . وكل ما تعمله الفادة في هذا السن ينبيء بما ستعمله في مستقبل حياتها . من هي اقرب للابنة في هذا الحين ؟ من هي مرشدتها ؟ من هي مثال كمالها ؟ هي المعلمة ؟ المعلمة ! المعلمة ! . فويل لتلك الابنة التي لا تجد المساعد الحقيقي